الفصل الأول

ماهية الفتنة وأسبابها وأعراضها

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصـل الأول

ماهية الفتنة وأسبابها وأعراضها

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [الحج : ٤٨].

(١) ماهية الفتن :

لفظ الفتنة له معنى واسع وصور متعددة أشار إليها القرآن الكريم في مواضع كثيرة[١] يكفي مراجعتها لكي نرى مدى تنوع صورها وأسبابها ومصادرها، ويكفينا الآن أن الله عز وجل قد حذر من فتنة الناس بقصد تحويلهم عن الإيمان بالله واعتبرها أشد من القتل[٢] مرة؛ وأكبر من القتل مرة أخرى[٣].

أقرب وصف للفتنة أنها الظلم؛ وشريعتنا تعتبر الأقوياء الذين يغترون بسلطانهم وقوتهم ظالمين لأنفسهم، وعندما يقودهم الغرور إلى البغي على غيرهم فإنهم يكونون ظالمين لغيرهم وظالمين لأنفسهم في نفس الوقت، فالفتنة فيها معنى الظلم للنفس والظلم للغير كذلك.

والعنصر المشترك في جميع صور الفتنة هو أنها تؤدي إلى تحول حال الفرد أو الجماعة إلى وضع فاسد أو ضال أو مكروه.

فالفتنة في لغتنا وفقهنا هي حالة شاذة تصيب الفرد أو المجتمع فتحول صلاحه إلى فساد؛ وتغير أوضاعه من المعتاد المألوف أو الصالح المقبول إلى ما يناقضه من شذوذ واضطراب وفساد وشر، وقد تؤدي إلى أشد ما يمكن أن يبتلى به الإنسان مما

---

(١) يتجاوز عددها ثلاثة وثلاثين في سور : البقرة، آل عمران، النساء،الأنعام، الأعراف، المائدة، الأنفال، التوبة، يونس، الإسراء، الأنبياء، الحج، النور، الفرقان، العنكبوت، الأحزاب، الذاريات، الصافات، الزمر، القمر، الممتحنة التغابن، المدثر .

(٢) [البقرة: ١٩١] .

(٣) [البقرة: ٢١٧].

يوصف بالجنون أو الكفر أو ما يترتب عليهما أو يؤدي إليهما من انحرافات أو اضطرابات أو سيئات أو جرائم بكل أنواعها وصورها .

(٢) صناعة عصرية :

موضوع دراستنا هو الفتن التي يواجهها المسلمون في هذا العصر في كثير من أقطارنا والتي يشعل نارها الأقوياء الطامعون ، ويساهم فيها طوائف أو أفراد منا ؛ لكن الذي يستفيد منها هو العدو الأجنبي المتربص بنا .

منذ اخترعت الآلات نرى الصناعة تتطور وتتقدم كل يوم بسرعة متزايدة وذلك بفضل المخترعات العلمية والتكنولوجية التي أوصلتنا إلى عصر الصواريخ والأقمار الصناعية وغزو الفضاء .

ومن سوء حظنا أن شعوباً أجنبية سبقتنا في مجال الصناعة وصارت تحقق كل يوم تقدماً كبيراً بفضل جهود علمائها وخبرائها في الصناعة والتكنولوجيا ومشروعات الإنتاج الكبير التي برعت في استخدامها واستفادت من ذلك حتى أصبحت توصف بأنها شعوب متقدمة ؛ في حين أننا ما زلنا نتخبط في ظلام التخلف والضعف في مجال العلوم والصناعات في جميع مجالاتها بل والزراعة التي أصبح للآلات دور كبير فيها وأصبحنا عالة على ما تنتجه الدول المتقدمة وما نستورده من منتجاتها حتى وصفنا البعض بأننا شعوب مستهلكة ومشترية وليست منتجة .

❋ ❋ ❋

لا شك أن أخطر الصناعات التي تتسابق فيها الدول المتقدمة صناعة أنواع الأسلحة المتطورة التي تمكنها من التفوق العسكري ؛ وتغريها بمواصلة تقدمها الحربي الذي تخوف به غيرها وتستطيع به تزويد قواتها العسكرية بأسلحة مدمرة تمكنها من فرض سيطرتها على العالم وعلينا باعتبارنا من العالم المتخلف صناعياً وعسكرياً وعلمياً وحضارياً .

❋ ❋ ❋

ومن أخطر الأسلحة التي طورتها الدول الكبرى واستغلتها لإخضاع الشعوب المتخلفة والناشئة في نظرنا هو سلاح «الفتن العصرية» الذي يمكنها من تحقيق أهدافها التوسعية ومطامعها في الهيمنة العالمية دون حاجة إلى استخدام الجيوش والقوة العسكرية في الغزو والاحتلال .

ولذلك قلنا إن صناعة «الفتن العصرية» في بلادنا مصدرها الأول في الخارج في، تلك الدول الكبرى التي تصدرها لنا كما تصدر غيرها من المنتجات الصناعية ؛ بل والزراعية أيضا ؛ بل وتحتكر هذه الصناعة كغيرها من الصناعات المتطورة .

❋❋❋

وميزة سلاح «الفتن العصرية» أنه (اقتصادي) يحقق لهم نتائج مذهلة بتكاليف أقل بكثير من تكاليف الأسلحة العسكرية التي تزود بها آلة الحرب الحديثة التي يعدونها للمعارك مع الدول الكبرى أو المتقدمة ، أما غزواتهم الاستعمارية في أقاليم العالم الثالث المتخلف فقد أصبحوا يعتمدون فيها أساساً على سلاح «الفتن العصرية» الذي لا يكلفهم كثيراً من الناحية المالية ولا من الناحية البشرية ، لذلك يسعون يومياً إلى تطوير هذا السلاح ووسائل إنتاجه واستخدامه وتصديره إلينا وأصبحوا مندهشين من ضخامة الثمار التي يوفرها لهم بأقل مجهود وأقل تكلفة طبقا لقوانين الاقتصاد المعروفة في جميع الصناعات .

❋❋❋

هذا التقدم المتزايد في صناعة «الفتن العصرية» هو سبب تطور الاستعمار نفسه الذي أصبح يُسمى «الاستعمار الجديد» بدلاً من الاستعمار القديم الذي كان يعتمد على الغزو والاحتلال العسكري والحكم المباشر ، ومن المؤكد أن القوى الكبرى اكتشفت أنها لم تعد في حاجة لاستعمال جيوشها كثيراً أو التضحية بأبنائها في الغزوات الاستعمارية ؛ لأن سلاح «الفتن العصرية» يمكنها من تحقيق هدفها بواسطة أبناء «الشعوب المتخلفة» ويعفيها من تحمل أعباء الاحتلال وتكاليفه ومن التضحية بدماء أبنائها في حالة استخدام القوة العسكرية .

❋❋❋

obeikandl.com

بفضل التطورات الحضارية الفكرية والثقافية والأخلاقية أصبحت مقاومة الشعوب للغزو والاحتلال الأجنبي تزداد وتشتد مما يؤدي إلى تضحيات بشرية ومالية تحمل القوى الاستعمارية كثيراً كلما لجأت إلى الغزو العسكري، في حين أن سلاح «الفتن العصرية» قد نجح في جعل حكومات الشعوب التي كانت تقاوم الاحتلال الأجنبي والغزو العسكري تضطر اضطرارا إلى الاستنجاد بالدول الكبرى الطامعة في السيطرة العالمية؛ وتطلب تدخلها عسكريا وسياسيا؛ بل واقتصاديا واجتماعيا لإنقاذها من مآسي تلك الفتن وآلامها ومضارها.

***

بعض الدول الكبرى الخبيثة لا تضيع هذه الفرصة؛ فعندما تضطر حكومات الشعوب المتخلفة إلى أن تستجدي تدخلها لإخراجها من مستنقع الفتن التي تعانيها؛ نجدها على العكس من ذلك تعمل كل ما في وسعها لزيادة تلك الفتن حتى تزداد الشعوب المتخلفة ضعفا وفسادا فيزداد اعتمادها عليها وحاجتها إلى تدخلها ومطالبتها به.

***

إزاء هذه «الفتن» التي تواجهها شعوبنا؛ يجب علينا أن نبدأ أولا بالإشارة إلى أنواع «الفتن» وصورها المتنوعة:

إن الفتنة حالة تصيب الفرد أو الجماعة؛ وقد تكون أسبابها ذاتية أو خارجية:

(٣) فتنة ذاتية للأفراد:

الفرد قد يفتنه غروره بما لديه من مال أو ولد أو جاه أو منصب أو سلطة، فيؤدي غروره إلى أعمال شاذة خارجة عن المألوف أو المقبول عادة؛ فيقال إنه يظلم نفسه بأن سار بها في طريق البغي والانحراف، وهنا تكون الفتنة ذاتية أو داخلية طالما كان ضررها مقصورا على المفتون بأن كفر بالله وعصاه وسار في طريق الغواية والفساد والانحراف السلوكي بسبب غروره بنعمة استثنائية أو أمر عادي.

ويلاحظ أن سبب الفتنة الذاتية عند الفرد قد يكون أمرا عاديا يواجهه كثيرون لكن الأسوياء الصالحين لا يفتتنون به؛ وإنما يفتن به عدد قليل من الشواذ ضعاف النفوس مثل التعلق بحب امرأة جميلة؛ وهو أمر عادي في معظم الأفراد؛ لكن بعض الشواذ يؤدي بهم ذلك إلى الانحراف الذي قد يصل إلى الجنون مثل «مجنون ليلى»، وقد يفتن المرء ذاتيا بما حصل عليه من مال أو جاه أو منصب يغتر به ويتعالى على غيره؛ ويصبح مفتونا بهذه النعمة فتنة تدفعه إلى تصرفات غير مقبولة أو غير عادية، فهذه فتنة فردية عادية.

وليس معنى ذلك أن كل صاحب مال أو ولد يصاب بالغرور؛ ومن واجبات المسلم أن يدعو الله ألا يجعل ماله وولده أو أي نعمة أنعم الله بها عليه سببا في الغرور الذي يؤدي إلى انحرافات عديدة(١).

وفي الحالة التي تواجه مجتمعاتنا اليوم تصاب مجموعات متحكمة فيها أو أفراد منها بالغرور نتيجة احتكارهم السلطان أو النفوذ أو الجاه أو المال أو المركز الاجتماعي الذي أنعم الله به عليه؛ «سواء عن جدارة أو غير جدارة»؛ ومكنهم مجتمعهم وأمتهم منه سواء باختيارها الحر أو بمجرد استسلامها لما استخدموه من عنف وقهر واستبداد، هذه السلطة التي يتمتع به فرد أو مجموعة أو طائفة أو حزب أو طبقة الأصل فيها أن تجعلهم شاكرين لله ولأمتهم؛ مؤدين لهما حقوقهما؛ قائمين بواجباتهم نحوهما، لكن الغرور يدفع كثيرين للاستكبار والبغي؛ بل والكفر في بعض الأحيان كما ذكر القرآن الكريم على لسان فرعون قوله مبررا ادعاءه الألوهية، قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ﴾ [الزخرف: ٥١]، وقوله: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨]، وقول نظيره الذي آتاه الله الملك في مواجهته لدعوة إبراهيم عليه السلام في ربه، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي

(١) قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت: ٥٢]، واستطرادا للمعنى الوارد بالآية السابقة عليها ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾.

obeikandi.com

﴿ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ﴾[البقرة: ٢٥٨]، فهو يدعي أنه يحيي ويميت لمجرد أنه يصدر قرارات بتنفيذ الحكم بالإعدام على البعض ويعفو عن غيرهم، أو يصدر قرارات ظالمة بالقتل بدون حكم أو بحكم صوري زائف أو قضايا ملفقة أو مصطنعة .

ومن أهم صور الغرور بالنعمة الإلهية كفتنة ذاتية ما ذكره القرآن عن عصيان إبليس الذي فتنه غروره للاستكبار على طاعة ربه الذي أمره بأن يسجد لآدم فعصاه بحجة أنه أفضل من آدم لأنه خُلق من نار وآدم خُلق من طين؛ وأن النار أفضل من طين الأرض وهذا المنطق الشيطاني جعله ناسيا أن الله عز وجل هو الذي خلق الطين والنار وخص كلا منهما بوظيفة في الكون، وأنه هو الذي خلقه ويجب عليه طاعته شكرا لنعمته واعترافا بفضله؛ لكن الغرور فتنه فبدلاً من ذلك عصى الله الذي خلقه وأعطاه النعمة التي فتنته .

وفتنة إبليس بغروره الذي أدى إلى الاستعلاء والاستكبار على أن يطيع أمر ربه بالسجود لآدم بحجة أنه أعلى منه عنصرا؛ ما زالت هي أهم الفتن التي تقاسي منها البشرية بسبب استعلاء البعض بأعراقهم أو أنسابهم أو ألوانهم، وهو الذي يفسر لنا تلك الفتن التي تبدأ عادة بالغرور العنصري الذي ما زال يصيب المستكبرين الذين يتعالون على طاعة الله الذي خلق الناس جميعا من نفس واحدة وأمرهم بالمساواة والعدالة وعدم العدوان على شركائهم في الإنسانية والآدمية؛ لأنهم من أصل واحد وأب واحد وخلقهم إله واحد .

(٤) فتنة الغير :

لكن في كثير من الأحيان يغوي البعض شخصا آخر ويؤثر فيه تأثيرا سيئا يؤدي به إلى الانحراف فتصيبه فتنة تبعده عن طريق الاستقامة؛ كمن يغوي فتاة فتسلم له عرضها نتيجة حبها له حبا أنساها واجبات الاستقامة والعفة والشرف .

كذلك توصف المرأة الجميلة بأنها فاتنة من باب المبالغة، لكن ليس معنى ذلك اتهامها بأنها تعمدت فتنة من يحبها أو قصدت ذلك عادة، ولكن هذا ليس بمستبعد من بعض النساء اللاتي يحاولن استغلال جمالهن للسيطرة على العشاق أو استغلالهم، وقد تصبح تلك الفتنة حرفة لبعض الفاسدات المفسدات، إذْ إنَّ فساد بيئتها يغريها باستغلال جمالها لفتنة من

يقع في حبها من ضعاف النفوس ؛ وتحويلهم عن طريق العفة والاستقامة إلى طريق الفاحشة والفسق وخيانة الوطن كما يحدث في حالات التجسس التي تستخدم فيها أجهزة الاستخبارات الأجنبية «خضراء الدمن» لإغواء المواطنين والمسؤولين والحصول منهم على المعلومات خيانة لوطنهم .

في مثل هذه الحالة يمكن القول بأن هذه المرأة التي تتعمد فتنة العاشق أو العشاق قد أصيبت بفتنة ذاتية لغرورها بما أنعم الله عليها من جمال ، وهذا الغرور هو الذي ساقها إلى إفساد من أحبها أو من أحبوها من ضحاياها أو استغلالهم أو السيطرة عليهم وفتنتهم بتحويلهم إلى طريق الفساد والانحلال والخيانة .

❋❋❋

(٥) فتنة ذاتية للجماعة والأمة :

والفتنة الذاتية كما تصيب الفرد تصيب طائفة من الناس أو شعبا أو أمة يقودها الغرور لدى أفرادها المتحكمين فيها بما وصلت إليه من قوة أو سيطرة أو نفوذ أو غنى(١) فيدفعهم هذا الغرور إلى الفساد في مجتمعهم ودفعه في طريق الانحلال فيصاب الشعب بالفتنة بما وصل إليه من قوة أو غنى فيظلم هذا الشعب نفسه بالتردي في مسالك الفساد والفسق والترف والجري وراء الأهواء مثل الخمور والمخدرات والملاهي والمطامع التي تضر به ، وهنا يكون سبب الفتنة داخليا أو ذاتيا(٢) ؛ ونتيجته الحتمية هي الانحلال والانهيار من الداخل .

هذه الفتنة الذاتية تصيب الشعوب عندما تبلغ شأنا كبيرا في المدنية يوفر لها

---

(١) تراجع سورة [الإسراء : ١٦] .. حيث وصف هؤلاء المغرورون المتحكمون بأنهم «مترفوها» ..

(٢) عادة يكون ذلك نتيجة غضب الله على الفرد أو الجماعة المفتونة بسبب كفرها أو شركها أو عصيانها؛ ولذلك تشير بعض النصوص القرآنية إلى أن الله عز وجل هو الذي ابتلى هذه الجماعة بالفتنة الذاتية مثل قوله عز وجل : ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة : ٤١] وقوله في سورة طه : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الآية : ١٣١]، وقد يكون مجرد اختبار من الله بالشدة والمحنة ليعلم الصابرين والصامدين مصداق قوله عز وجل : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت : ٢] .

obeikandi.com

أسباب الترف والغنى؛ فيفتنها ما حققته من حضارة وغنى وتقدم وقوة عسكرية واقتصادية فتنسى أن الله هو الذي أنعم عليها بهذه النعم؛ ويصيبها من الغرور ما يصيب الغني الذي يفتن بماله مثل قارون الذي سجل القرآن الكريم قوله هذا، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ ﴾ [القصص: ٧٨] أي أنه أصبح ذا مال وغنى لأنه أفضل من غيره وأحق بذلك دون الناس؛ فيستكبر عليهم ويتعالى، مثل هذا التعالي هو الغرور الذي يصيب شعبا أو أمة فتدَّعي أن لها ميزات عنصرية وعرقية هي التي جعلتها أكثر مدنية وغنى وترفا من غيرها ممن تظن أنهم أقل منها ويستحقون لذلك احتقارها؛ بل ووصايتها عليهم وسيطرتها على مصيرهم وتحكمها فيهم، وبذلك تؤدي الفتنة الذاتية بالأمم الغنية إلى أن ترتكب كل ما يمكنها للسيطرة على من هم دونها من الشعوب الأخرى، ولو اقتضى الأمر اتخاذ جميع الأساليب لكي تحدث فيها فتنا تزيدها ضعفا وتزيد الطامعين فيها تحكما وسيطرة واستعلاء، وهذا هو ما نراه الآن.

من هنا يظهر أن الفتن الذاتية في الأمم الغنية لها أثران:

الأول: أنها تفسد مجتمعها الذي يستمر في ابتكار أساليب الترف والنعمة التي تشغله عن القيام بواجباته التي فرضها الله على عباده مما يفتح له باب الغرور والاستكبار والفساد الذي لا يستطيع الخروج من دائرته؛ ويؤدي ذلك حتما إلى انهياره من داخله.

الثاني: أنها تدفعها إلى البغي على المستضعفين نتيجة استعلائها عليهم واحتقارها لهم واعتقادها أنها صاحبة حق في السيطرة عليهم بسبب ما تملكه من غنى وقوة؛ ولو اقتضى الأمر تدبير الفتن وتشجيع من يشعلون نارها لتمكينها من استمرار السيطرة عليهم إلى ما لا نهاية وتفرض عليهم صور الفساد في مجتمعها مثل الخمر والزنا والانحلال الخلقي.

❋ ❋ ❋

إن الفتن الذاتية الداخلية في الدول الغنية المستكبرة تغريها الآن بصنع الفتن في الأمم والشعوب المستضعفة بقصد إضعافها واستغلالها وإذابتها في كيانها لكي تلقى مصيرها في الانهيار معها «إذا رضيت بذلك» ومن حسن حظنا أن شعوبنا ترفض ذلك حتى الآن .

❋ ❋ ❋

(٦) فتنة الغير للجماعة أو الأمة :

إن الأمة أو الجماعة الغنية المترفة المفتونة ذاتياً بما حققته من غنى أو قوة عسكرية أو نفوذ إعلامي لا تقنع غالباً بما أنعم الله به عليها ؛ وإنما يستدرجها ذلك إلى الطمع فيما لدى غيرها لتزداد غنى وترفاً فتسعى للسيطرة على الشعوب الأقل منها قوة بقصد استغلالها ونهب ثرواتها وتستعمل من أجل ذلك جميع أسباب الإفساد وتدبير الفتن وإشعال نارها .

تُقدِم هذه الجماعة أو الأمة الكبرى على تدبير الفتن في الشعوب الأخرى لإفسادها وإضعافها لتكون فريسة سهلة ، وفي هذه الحالة نجد الفتنة الذاتية للأمة الغنية يتعدى أثرها إلى غيرها من المجتمعات الأقل منها قوة أو غنى ، ولا تكتفي بنقل عدوى الفساد الاجتماعي والأخلاقي لها بل إنها تظلمهم وتحاول فرض ذلك عليهم لتحصل على مزيد من أسباب الغنى والترف الذي يؤدي إلى تضاعف أسباب الفساد الاجتماعي الداخلي حتى يصبح الغلو في الغنى وفي الترف سبباً لانهيار المجتمع الغني القوي المتقدم .

❋ ❋ ❋

هذا هو الانتقام الإلهي الذي يجعل اندفاع الجماعات أو الشعوب الغنية نحو ظلم الشعوب الأخرى سبباً يسوقها إلى هلاكها ؛ لأنه يوفر لها مزيداً من الترف ومزيداً من الفساد الاجتماعي الذي يؤدي إلى انهيارها ، وهذا هو مصير الإمبراطوريات الكبرى التي يقودها غناها إلى ظلم غيرها مما يزيدها ترفاً وفساداً وانحلالاً يؤدي بها إلى الانهيار .

❋ ❋ ❋

ومن الإنصاف أن نعترف بأن فتنة الغرور والاستكبار لا تصيب المجتمع الغني المتقدم فجأة ولا تحيط به مرة واحدة؛ وإنما يبدأ الغرور والجشع في الطبقة العليا المسيطرة الذين وصفهم الله عز وجل في القرآن بأنهم ﴿ مُتْرَفُوهَآ ﴾ والتي حازت أكبر قدر من الغنى والسلطة فأغراها ذلك بتملك مزيد من أسباب الترف والإسراف فيها فانساقت في طريق الفساد والغواية؛ وفرضت على أمتها السير في طريق الفسق والفساد؛ لأنه يضمن لها استمرار السيطرة ومزيدا من الثراء والترف .

هذه الطائفة أو الطبقة المتحكمة الغنية المترفة يغويها ما حصلت عليه من مغانم ومكاسب على الانغماس في طريق الشهوات والأهواء والفساد في بلادها أولا ، ثم تغري شعبها بأن يسير معها في نفس الطريق وتزين له أن ينقل فساده إلى الشعوب الأخرى وتغريه بأن غزوه للشعوب الأقل منه قوة سيوفر له مزيدا من الغنى والقوة فيندفع في طريق التوسع والاستعمار أو الإمبريالية الذي تسير فيه الشعوب الغنية بالهجوم على الشعوب المستضعفة ، لكن هذا المزيد من الغنى والترف هو الذي يؤدي بها إلى الانحلال والفساد والهلاك ، وهذه هي سنة الله في إهلاك الأمم التي تسير في طريق الاستكبار والترف دون حدود إلهية وقيم دينية تلتزم بها .

❋❋❋

وقد حذرنا القرآن الكريم من هذا المصير بقوله عز وجل : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦][(١)] .

ومما يزيد في جشع المستكبرين وانطلاقهم نحو مزيد من السيطرة والغنى والترف أن الدول الكبرى تجد في الشعوب المظلومة (التي أخضعتها لسيطرتها بالقوة والعنف والاحتلال) من يعملون لحسابها؛ ويندمجون في تيارها ، فتعفي نفسها من تكاليف الحكم المباشر والاحتلال العسكري وتمد هذه الطائفة بنصيب من الترف والفساد وتشجعها على البغي على مواطنيها ودفع شعوبها في طريق الفتنة التي تنمو وتزداد

(١) ورغم هذا التحذير فإن «ملوك الطوائف» في الأندلس ومعهم أنصارهم المترفون هم الذين ساروا بها إلى الهلاك والضياع والانهيار .

أسبابها ومظاهرهـا كلما زادت مقاومة جماهير الشعوب لاستبدادها وبغيها الذي تدعمه قوى الاستكبار العالمي التي تزداد قوتها كل يوم، في حين يزداد ضعف الأمم التي استضعفتها وتحكمت في مصيرها بواسطة عملاء حلفاء ممن أغواهم الترف الذي مكن لهم الاستكبار من أسبابه وأغواهم بالسير فيه مقابل قيامهم بتنفيذ خططه الاستكبارية لمزيد من التحكم في مواطنيهم واستغلال ثروات بلادهم .

لكن الأمم العريقة الأصيلة المستضعفة المظلومة تبدأ في البحث عن مقوماتها الذاتية الأصيلة؛ وتعتمد عليها في مقاومة تيار الفساد والبغي؛ وتسعى للخروج من دائرة الفتن التي تغذيها القوى الأجنبية وتنفذها بواسطة طوائف من المنتفعين الذين يعملون لحسابها ويسعون للحصول على نصيب هزيل من الغنى والترف الذي توفره لهم الدول الكبرى التي وصلت إلى قمة السيطرة والاستكبار العالمي .

أعتقد أننا الآن نرى هذه الحالة التي وصلنا إليها؛ وقد بدأت الصحوة الإسلامية تدعونا لمقاومة سياسة التبعية للقوى الأجنبية التي تستفيد منها الشعوب الغنية المسيطرة وتعارض الطوائف التي تعاونت معها وتستغل السلطة المغتصبة لفرض سياسة الخضوع والاستسلام الكامل على شعوبنا التي ترفضها وتقاومها .

***

إن قوى الاستكبار العالمي ملكت من أسباب القوة والغنى والسيطرة العالمية ما يمكنها من استدراج عناصر كثيرة في شعوبنا لتسير في طريق الفتن بسبب مقاومة الشعوب للمتحكمين فيها من أبناء وطنهم، ويستمر الصراع بين الشعوب والحكام المترفين الفاسدين الذين تدعمهم القوى الأجنبية بالمساعدات العسكرية والمالية؛ وتدفعهم إلى مزيد من البغي والاستبداد للاستمرار في قمع القوى الحية التي تقاوم هذا البغي رغم ما تواجهه من قوة تيار الاستكبار وحلفائه وأعوانه، ولا يصمد في هذه المقاومة ويصر عليها - ويتمسك بالأمل الكبير في النصر- إلا من يعتمدون على وعد الله بنصر من يدعون إلى طريق الرشاد ويصبرون علي التضحية والفداء، وقد رأينا في كثير من الحالات أن صمودهم ينجح في كبح بغي المستكبرين وأعوانهم .

ولكن من الضروري لإحراز نصر حاسم أن نبحث عن وسيلة للخروج من الفتن التي تستفيد منها قوى الاستكبار العالمي وتغذيها بكل ما تملك من أسباب السيطرة والقوة .

عندما توجد في بعض بلادنا فتنة دبرتها قوة أجنبية مفتونة بقوتها وسيطرتها العالمية ؛ يجب على المتورطين فيها أن يتجاوزوا الاعتبارات الداخلية التي تحرك الخصومات المحلية وأن يعملوا لمواجهة القوى الخارجية التي أشعلت الفتنة أو تغذيها وتستفيد منها .

إن الفتن التي نواجهها في كثير من بلادنا هي من هذا النوع المصنوع والمستورد من الخارج ، إنها ليست فتنا داخلية بحتة كما يعتقد كثير من الناس ، لكنها فتن مركبة بدأت بالفساد الذي يدفع بعض المسيطرين في الدول الكبرى لإفساد مجتمعاتها ؛ ثم الطمع في السيطرة على الشعوب الأخرى والسعي لإفساد مجتمعاتنا وتحطيمها بإشعال الفتن فيها واستغلال العوامل المحلية لزيادة الفتن في بلادنا .

ولا بد لذلك أولا من حماية مجتمعنا من المطامع الأجنبية ؛ ومن عوامل الفساد والانحلال الذي غرقت فيه الدول الأجنبية الكبرى المفتونة بقوتها وسيطرتها العالمية ، وأن نوقف نزيف الفتنة التي تستفيد منها تلك القوى الطامعة .

* * *

(٧) فتنة السلطة :

إن أخطر أنواع الفتن هو فتنة السلطة والسيطرة ، ذلك أنها عادة تبدأ بغرور من تولّى السلطة بما لديه من سيطرة على غيره ، وهذا الغرور هو فتنة ذاتية تؤدي إلى تغير حاله من إنسان سوي عادي إلى شيطان مغرور متكبر متعدٍ على الناس ؛ وتمكنه السلطة التي اغتر بها من وسائل عدوان خطيرة يحاول بها فتنة غيره من الناس وإفساد المجتمع ؛ مما يجعل هذه الحالة أسوأ صور الفتن المركبة في نظرنا لأنها تغير حالة المفتون بالغرور الذي قد يصل به إلى الكفر ثم إنه يحاول فرض هذا الكفر على غيرها من الناس ؛ ومثال ذلك ما

ذكره القرآن عن ذلك الملك الطاغية الذي حاور سيدنا إبراهيم عليه السلام وأعلن كفره بالله :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ . . ﴾ [البقرة : ٢٥٨]. فالملك المغرور بسلطانه يستطيع أن يقتل بعض الناس ويعفو عن غيرهم. وهو بذلك يدّعي الألوهية ويكفر بالله ويتنكر لرسوله إبراهيم عليه السلام. ولكن إبراهيم أفحمه وأسكته عندما طلب منه أن يغير مسيرة الشمس فيطلعها من المغرب : ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨].

وفتنة السلطة أول أعراضها هو الغرور والاستكبار الذي يدفع من يصاب به في الدول الكبرى أو الصغرى إلى الظلم والبغي على غيره ؛ بل والعصيان لله والتنكر لشريعته سواء كان المصاب بالغرور فردا أو جماعة أو عصابة متحكمة في الأمة ؛ بل إن الغرور قد يصيب الشعب أو الأمة كلها إذا أطاعت مترفيها واتجهت إلى الاستعمار أو العدوان على غيرها نتيجة سيطرة الجماعة المصابة بالفتنة والغرور والمتسببة فيها والتي تحمل وزرها ووزر ما يترتب عليها من فتن وفساد داخل أمتها الغنية وما تدبره من فتن في الأمم الأخرى المستضعفة أو المجاورة التي تآمرت عليها .

❋❋❋

في الأمثلة التي سبق وذكرناها وغيرها مما حفلت به قصص التاريخ، وما يواجهنا به الواقع في بعض من بلادنا أمس واليوم يؤدي الغرور بالسلطة إلى أعمال منكرة شنيعة لا يبررها عقل ولا منطق ؛ مما يجعل غرور السلطة مرضاً نفسياً أو نوعا من جنون السلطة في الفرد الحاكم أو الجماعة أو الأمة المستكبرة لا يقل خطورة عن الجنون الذي يفقد الأفراد صوابهم، فكما أن المجنون قد يرتكب جريمة القتل دون مبرر أو داع أو سبب عقلي أو معقول ؛ فكذلك المغرور بالسلطة المفتون بها «سواء كان فردا أو جماعة أو دولة كبرى أو صغرى» يقدم على مثل ذلك العمل الجنوني أو أكثر منه من صنوف البغي والظلم التي لا حدود لها بسبب فتنة السلطة التي يحوزها «سواء حازها بالحق أو بدون حق (وهذا هو الغالب) والأمثلة على ذلك كثيرة ؛ وآخرها ما

حدث من اعتداءات بربرية على مسلمي البوسنة والهرسك، وما قام به حزب البعث العراقي من اعتداء على إيران والكويت؛ وما فعله النازيون والفاشست والسوفيات من قبل.

إن الغرور ليس إلا بداية لجنون السلطة والقوة؛ والافتتان بما توفره لحائزها من ثروة وقدرة على الحصول على الأموال - بحق أو بغير حق - أو العصبية والقوة العسكرية التي تزيد من قدرته على البغي والتحكم والعدوان كلما شاء، وقد ذكر لنا القرآن الكريم أن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم بسبب ما توفر له من مال وكنوز تنوء بمفاتيحها العصبة أولو القوة[1]، ولا شك أن غنى المسيطرين على شعوب الدول الكبرى الغنية المترفة يغريهم ويغريها بكثير من العدوان.

❋❋❋

(٨) الاستسلام يشجع المستكبرين :

لكن الله عز وجل قد أشار في كتابه الكريم إلى سبب آخر من أسباب الفتنة بالسلطة ودعانا إلى أن نعوذ بالله من هذا السبب الذي لا يخطر ببال كثيرين؛ وهو مجرد استسلام المحكومين في بلادهم أو خضوعهم للمغرورين بالسلطة وعدم مقاومة بغيهم أو عدوانهم؛ لأن هذا الاستسلام من جانب الأفراد أو الجماهير المعتدى عليها قد يكون بذاته مؤديا إلى مشاركتها في الفتنة؛ لأنها تشجع المفتون بالسلطة على الغلو في بغيه وعدوانه بل وكفره أيضا، فقد أشار القرآن الكريم إلى أن كفر فرعون سببه أنه: ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ﴾ [الزخرف: ٥٤]، فطاعة الناس للباغي الآثم واستسلامهم لسلطانه قد تدفعه لمزيد من البغي والعنف، ولذلك ورد في القرآن الكريم على لسان الذين آمنوا بموسى عليه السلام (رغم تهديدات فرعون لهم) أنهم قالوا: ﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[2]، فهم يدعون الله ألا يمكن الظالم من التحكم فيهم واستغلال سيطرته عليهم واستسلامهم له ليتخذ ذلك مبررا

---

(١) سورة [القصص : ٧٦].

(٢) تراجع سورة يونس الآية رقم (٨٥) وتعليق الشهيد سيد قطب في ظلال القرآن ج/١١ ص/١٩٩، الطبعة الخامسة.

لبغيه وغروره بسبب خضوعهم واستسلامهم أو ارتدادهم عن دينهم مما يشجع الظالمين على مواصلة البغي والكفر وزيادة غرورهم بما اعتبروه نصرا لهم على الذين خضعوا لهم واستقرار الأمر لهم وظنهم أن معنى هذا «النصر» وهذا «الاستقرار» هو أنهم على حق وأن من استسلموا لهم كانوا على باطل عندما قاوموهم، بل إن بعضهم يشترط للاستسلام أن يعترف من سلَّموا لهم بأنهم قبل استسلامهم كانوا على باطل؛ وأن مقاومتهم أو معارضتهم لهم كانت خطيئة تابوا عنها وأن من ظلموهم كانوا على حق دائما في كل ما فعلوه !!

إلى هذا الحد يشير القرآن الكريم إلى أن الاستسلام والخضوع للظالمين سواء كانوا ممن في الداخل أو الخارج قد يكون مشاركة في زيادة الفتنة واستمرارها .

(٩) فتنة المؤمنين :

إن غرور السلطة و الفتنة بها يؤدي كما رأينا إلى صور متعددة من الظلم والبغي بل والكفر بالله عز وجل، لكنه قد يؤدي أيضا إلى ما هو أسوأ من ذلك وأشد أثرا؛ وذلك عندما يقصد به المتسلط الباغي الظالم المستبد المغرور بسلطانه وعصبيته أن يفتن المؤمنين عن دينهم وعقيدتهم وشريعتهم، وبذلك تصبح الفتنة بلاء وابتلاء للمؤمنين يُعرِّض الأقوياء منهم للإبادة بالقتل والتعذيب والإفناء، ويُعرِّض المستضعفين والمتخاذلين للاستسلام للمغرورين المتمكنين من أسباب الظلم والقتل والإبادة، سواء كانوا من أبناء وطنهم أصحاب السلطة أو من أعداء الأمة الذين يحرضون المستبدين ويدفعونهم للبغي والاستكبار، هذه هي أشد صور الفتنة وأسوأ حالاتها وأبعد نتائجها وآثارها التي تواجهها بعض شعوبنا الآن .

لذلك فإن الله عز وجل توعد من يتورطون في تنفيذ هذه الفتنة بالعذاب الشديد والانتقام الإلهي الذي لا مفر منه مهما طال الزمن أو تأخرت ساعة الجزاء؛ فإن الله عز وجل يمهل ولكنه لا يهمل .

❋❋❋

إن المسلمين في بعض الأقطار يواجهون اليوم أسوأ حالات الفتنة سواء أكانوا أقلية كما في بورما والهند وروسيا . . إلى آخره ؛ أم كانوا أغلبية كما في البوسنة والهرسك والصومال والجزائر وتونس وكشمير . . إلى آخره .

***

إن فظاعة الأعمال العدوانية التي ترتكبها السلطات الاستعمارية بحق من فرضت عليهم سيطرتها ونفوذها من الشعوب المستضعفة جعلت كثيرين ينسون أن هذه الشعوب الغنية القوية هي أول الضحايا ؛ لأنها هي التي أصابتها الفتنة الذاتية أولا .

(١٠) العدوى :

إذا كانت الفتن الحالية التي تتعرض لها الشعوب الإسلامية في بعض أقطارنا هي فتن تدبرها قوى إمبريالية أجنبية وتغذيها وتستفيد منها ، وأن كثيرين ينسون أن هذه القوى الأجنبية إنما تقدم على هذا التآمر والعدوان علينا نتيجة غرور وفساد داخلي في مجتمعها هو سبب فتنتها بما أنعم الله عليها أو على المسيطرين عليها من ثراء أو قوة دفعتها للغرور والترف والسير في طريق البحث عن مزيد من الثروة والسلطة ، بل والسيطرة العالمية بوسائل القهر وإذلال الشعوب الأخرى ؛ وأنها هي مصابة بفتنة ذاتية لأسباب داخلية سببها الغرور والفساد الذاتي ، وهذه الإصابة متى حلت بالأمم الغنية الكبيرة بسبب تحكم المترفين الفاسدين فيها ليست في نظرنا إلا مرضاً من أمراض الشيخوخة لبعض الأمم الكبرى والدول العظمى ينذرها بالفناء .

هذه الفتنة الذاتية المرضية في الأمم الكبرى المتقدمة الغنية تدفعها لمزيد من الطمع والترف الذي يفسد مجتمعها فتبيح لأفرادها الانطلاق في أهوائهم وشهواتهم دون قيود أو حدود تفرضها الشرائع الإلهية بل تتنكر لهذه الشرائع والعقائد ؛ وهذا المرض هو ما يؤدي بها إلى الانهيار والدمار الذي أشارت له الآية الكريمة بقولها : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾[الإسراء: ١٦] .

ومن أعـراض هـذا المرض أنـه يغـري المصـابين بـه بنقـل عـدواه إلـى غـيرهم فـي المجتمعات الأخرى بالدعاية والإغواء أولا ، ثم بالقوة والعنف لمقاومـة العنـاصر الحية فـي بعـض الشـعوب النامية الأصيلـة التـي تقـاوم هـذا الفسـاد وتضطر إلـى أن تقــود انتفاضة شعبية لمقاومة هذه العدوى المفسـدة المدمرة التي تـهددها بالاندماج فـي تيـار الفساد الذي وصلت إليه المجتمعات المتقدمة التي تسعى لفرض سيطرتها عليـها وعلـى العالم كله وبغيها واستكبارها الذي تجاوز الحدود .

❋ ❋ ❋

إن الفـتن العصريـة التـي يدبرهــا أعداؤنــا وينســاق إليــها بعــض طوائفنــا (مكرهــين أو طائعين) ؛ سواء كانوا حاكمين مستبدين أو محكومين مستسلمين أو ثائرين مظلومين يجب علينا أن نطفئ نارها ؛ لأن مجرد اقتتالهم ليس شأنا داخليا بـل يستفيد منـه أعداؤنـا ؛ ونحـن نحذر كل المتورطين في الفتن من الاستمرار فيها ؛ وندعوهم للبحث عن وسيلة آمنة لتوحيد شعوبنا في مواجهة القوى الأجنبية المتربصة بنا ؛ المدبرة لهذه الفتن والمستفيدة منها .

علينـا أن نلفـت النظـر إلـى القنـوات التـي تصـل مـن خلالـها أسـباب هـذه الفتنـة الخارجيـة التـي تُدفـع لـها بعـض شـعوبنا بـالعدوى مـن الفتنـة الذاتيــة التــي أفسـدت المجتمعـات الأجنبيـة وأوصلتـها للتمـرد علـى الحـدود الإلهيـة والشــرائع الســماوية ، فسارت في طريق الفساد ؛ ولكن فسادها لا تريد لـه أن يقـف عنـد حـدود مجتمعاتـها الظالمة المعتدية علينـا ، بل يطمعـون أن يفرضـوه علينـا ويدفعونـا إليـه دفعـا ولـو بـالقوة والعنف والتهديد والإكراه بواسطة حلفاء لهم يقومـون بتدبـير هـذه الفـتن التي يجب علينا أن نخرج منها ، إنهم بهذه الفتنة المركبة يفتحون الطريق لنقل سـيئات مجتمعـهم وانحلاله إلـى مجتمعاتنـا بـالعدوى ، وسـبب نقـل هـذه العـدوى هـو فـي نظرنـا تنـوع الأدوات والأسـاليب التـي يسـتخدمها الأقويـاء المترفـون فــي الشــعوب الكــبرى ثــم ينقلونها إلى العناصر المستكبرة المحلية التي يستغلونها لفرض الفساد على من يطمعـون فـي السيطرة عليـهم مـن المستضعفين ، فـهذه الأسـاليب هـي بذاتــها عــدوى ينقلـها «ميكـروب» الانحـلال والفسـاد وفـيروس أمـراض الشـيخوخة التـي تحطـم نسـيج

obeikandi.com

مجتمعها، وتنذر بانهيارها الذي جعله الله نتيجة لاستسلامها للترف والجشع والعدوان، ومن أهم أساليبهم الخداع السياسي والإعلامي لنشر الفساد والغش والعدوان والظلم، بوصفها بأنها هي التقدم والحضارة.

❋❋❋

إننا كثيراً ما نثور عندما يستخدمون هذه الأساليب ضد شعوبنا، ولكننا لا نلحظ أن مجتمعهم ذاته مملوء بها ولا يستطيع دفعها؛ لأن الكذب والزيف الإعلامي سلاح تستخدمه القوى المسيطرة في المجتمع الغني المترف المتقدم لخداع شعوبها وحجب الحقائق عنها، فشعوبها هي ذاتها مخدوعة مضللة مثل شعوبنا بل أكثر، مثال ذلك أنها كانت تسعى لتضليل شعوبنا بإيهامها بأنها تسعى لتمدينها عن طريق إدماجها في مجتمعاتها وإذابتها فيها؛ لكن شعوبنا ما زالت تشك في هذه الدعايات، وما زالت فيها قوى حية تحذرها من الانخداع بهذه الأكاذيب ولديها رصيد من القيم الأصيلة تحصنها ضد هذه الخديعة إلى حد كبير، أما في شعوبهم فإن الخداع والتضليل يؤديان دورهما بأسلوب لا سبيل لمقاومته؛ لأن التضليل الإعلامي والسياسي أصبح مسيطرا على جماهيرها مستعينا بالغرور العنصري وفلسفات القوة وضخامة الأجهزة الإعلامية التي يوجهها ويمولها شياطين الطوائف المسيطرة مباشرة أو من وراء ستار.

إن شعوب الدول المتآمرة علينا مخدوعة فعلا بادعاءات الطبقات المسيطرة عليها التي تزعم لهم أنها تحتل بلادنا أو تفرض سيطرتها على دولنا وشعوبنا لغرض تمدينها لأننا متخلفون وهم متقدمون يمارسون الوصاية علينا، وهذه الوصاية معناها خضوعنا لسيطرتهم وأن هذه السيطرة حق لهم ولشعوبهم؛ بسبب عنصرهم أولا؛ وبسبب قوتهم وغناهم ثانيا.

إن هذه الوصاية أباحت لهم أن يختاروا لنا من يسيطرون علينا، أو يفرضوا علينا الحكام الذين يطيعون أوامرهم ويدفعونهم لقهر شعوبهم واستخدام أكبر أساليب البطش ليسيروها في الطريق الذي تفرضه عليهم القوى الأجنبية التي تمدهم بالسلاح والمال والدعاية الإعلامية الكاذبة التي يصدقونها هم؛ وتصدقها جماهير شعوبهم (المتقدمة)، أما القوى الحية في شعوبنا الأصيلة فهي وحدها التي تنكر

عليهم هذه الادعاءات وترفض الخضوع لوصايتهم ووصاية وكلائهم الذين يدعمون نظمهم ويمدونها بالمساعدات والقروض ومختلف وسائل الرشوة والدعم لقهر شعوبنا وإذلالها وفتنتها عن أصالتها، بل وعن شريعتها ودينها وعقيدتها .

❋❋❋

✱ كبرى الفتن :

هذا هو ما نواجهه في كثير من بلادنا في هذا العصر؛ ولذلك فإننا ندعو أبناء الشعوب الناشئة الصغيرة إلى أن يفكروا جديا ويتدبروا في مخاطر الفتن العصرية، وفي الفوائد التي يجنيها أعداؤنا منها حتى ولو كان سببها عوامل تخلف وضعف من داخل مجتمعنا في الأصل، ويظن البعض أن أعداءنا لم يفعلوا إلا أنهم غذوها بما لديهم من مال وسلاح وأجهزة مخابرات وعملاء متطلعين للحصول على المال الحرام من أي سبيل ليستغلوها لمصالحهم الذاتية بأي وسيلة .

في كثير من الأحيان تنشأ الفتن في المجتمع الصغير الناشئ لأسباب محدودة داخلية عرقية أو خلافات دينية أو مذهبية أو مطامع سياسية أو خلافات حزبية، ويكون دور القوى الأجنبية الطامعة هو أن تصب الزيت على الخلاف لزيادة اشتعال نيران الفتنة وتزود العناصر المتورطة فيها بما لديها من مال وسلاح وخبراء بصرف النظر عما إذا كانوا معتدين أو معتدى عليهم لأن مجرد استمرار الفتنة وزيادتها هدف في ذاته لصالحهم، بل قد يكون من أهدافهم ألا يتمكن أحد أطراف الفتنة من نصر حاسم سريع أو تصالح يعيد الاستقرار إلى البلد الصغير والشعب الناشئ الذي تطمع في السيطرة عليه، وإذا حدث هذا فإنهم يثيرون متاعب جديدة لإنهاك المنتصرين أو المتصالحين أو محاصرتهم، وأعتقد أن هذا هو ما حدث في الصومال وما يحاولونه في أفغانستان واليمن وغيره . .

إن كبرى الفتن العصرية هي التي وقعت بين دعاة العروبة الذين قاوموا حكاما عثمانيين ساروا في طريق العنصرية التركية والطورانية واستغلها الاستعمار البريطاني وعميله لورنس وحلفاءه للقضاء على الدولة العثمانية بمساعدة «القوميين العرب» ثم

إلغاء الخلافة بواسطة القوميين الأتراك والاستيلاء على جميع الأقطار العربية، ومازالت بعض هذه الشعوب تئن تحت كابوس السيطرة والنفوذ الأجنبي، وسيطرة العناصر العميلة رغم المقاومة الباسلة للعدوان وأعوانه .

❋❋❋

(١١) الفتن الداخلية واختلافات الفقهاء :

نحن لا نستطيع أن ننكر أن في مجتمعاتنا كغيرها من المجتمعات عوامل ذاتية تثير الشقاق والخصام والنزاعات الطائفية والفتن الداخلية والصراعات السياسية والحزبية، وقد رسم لنا القرآن الكريم طريق معالجة هذه الفتن والنزاعات في الآية الكريمة ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات : ٩].

فالقرآن يفرض على المجتمع أن يبادر إلى إطفاء نار الفتن الداخلية وفرض المصالحة بين المتنازعين، ولو اقتضى الأمر أن يقاتل الفئة الباغية . .

لفت نظري في قراءتي لكتب الفقه، حرص كثير من فقهائنا على التحذير من الفتن الداخلية؛ لأنها كما يقولون تؤدي إلى إهدار دماء الأبرياء وغالبا لا تنتهي إلى نتيجة سوى إضعاف المجتمع وتمزيق صفوف الأمة، وإعطاء الفرصة للباغين للاستبداد بها، ولأعدائها لمهاجمتها وكسر شوكتها أو الاستيلاء على بعض أقاليمها .

آخرون كانوا يعترضون على الغلو في التحذير من الفتن ويعتبرونها دعوة للسلبية إزاءها؛ لأنه يثبط همم الذين يقاومون الحكام الظالمين، ويعطل قيام الأفراد والجماعات بواجبهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواجهة مغتصبي السلطة من البغاة والسلاطين والحكام الذين يستولون على السلطة بالتآمر والغلب والغدر أو الخديعة، ويتمسكون بوجوب مقاومة الظالمين مهما تكن التضحيات والنتائج قياما بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

❋❋❋

وقد تعرض السنهوري في كتاب «الخلافة» لـهذا الموضـوع، وأنصـف فقـه السنة فيما ذهب إليه من عدم تشجيع دعاة المقاومة للحكام بالعنف إذا كان ذلك يؤدي إلـى فتنة تسيل فيـها دمـاء الأبريـاء، وقـرر أن فقـهاءنا الذيـن قـالوا بذلـك لا ينكـرون حـق المظلومين فـي مقاومـة الظـالمين ولا حـق النـاصحين فـي الوقـوف فـي وجـه المغتصبين والمعتدين، ولكنهم يشترطون لذلك شرطين أساسيين :

أولهما : أن يكون هناك احتمال كبير لـترجيح نجاح المقـاومين فـي القضـاء علـى محتكري السلطة والفئة الباغية أو المغتصبة، أما إذا لم يكن هـذا الاحتمـال وارداً فـإن المقاومة تدخل ضمن إلقاء النفس إلى التهلكة بدون نتيجة.

ثانيـهما : أن يكـون الـهدف إقامـة حكـم راشـد صـالح يلـتزم بالشـورى ويطبـق أحكام الشريعة، أما تصدي غاصب ليحل محل غاصب آخر فلا يعتبر مشروعاً.

❋❋❋

إذا تخلف أحد هذيـن الشـرطين، فـلا يجـوز الإقدام علـى المقاومـة؛ لأنـها مجـرد فتنـة تضر، ولا ينتج عنها سوى إراقة الدماء وإضعاف المجتمع لفائدة الأعداء المتربصين.

وقد حرص السنهوري على إنصاف الثائرين الذين قاوموا حكاماً مغتصبين للسلطة ولو أن النتيجة الفعلية كانت الفشل، كما حدث في ثـورة الإمـام «الحسين» التي انتـهت بهزيمته واستشهاده في كربلاء، وثورة عبد الله بن الزبير التي قضى عليها الأمويون في مكة، ورأى أن الشروط التي وضعها الفقه كانت متوفرة في الحالتين، رغم أن الثائرين قد خسروا المعركة لأن تقديرهم وتفاؤلهم بقدرتهم كان مبنياً على أسباب معقولة في حينها.

فيما عدا هذين الحدثين التاريخيين فإن الفقه في مذهب السنة سار على مبدأ التحذير من الفتن الداخلية، وبعضهم غالى في ذلك حتى أن البعـض كـان يدعـو إلـى الخضـوع للحـاكم الباغي وعدم مقاومته متى كان مقيما للصلاة، خوفاً من إشعال الفتن الداخلية فـي المجتمـع، وهذا القول كان في صالح مغتصبي السلطة والحكام المستبدين.

❋❋❋

لكننا نرى الفتن العصرية يجب أن تدرس مستقلة عن هذه الأحكام . . لا بد لنا من استنباط أحكام تتجاوز ما وصل إليه أسلافنا وحرج في ذلك ؛ لأن الفتن العصرية لم يكن لها وجود في الماضي فلا تطبق عليها أحكام الفتن الداخلية التي تكلم عنها فقهاؤنا .

إن واجب المقاومة للباغين يكون أكثر إلزاما إذا كان المحرضون على البغي والاستبداد والمستفيدون منه قوى أجنبية .

***

إن ما استنبطه فقهاؤنا يطبق في الفتن الداخلية البحتة التي لا يوجد فيها تحريض أجنبي ولا عنصر إمبريالي ، ولا يوجد عدو خارجي يشعل نارها أو يغذيها بالمال والتشجيع والمساعدة ؛ لأن له مصلحة في ذلك ، أما الفتن العصرية فيجب أن ينظر إليها على أنها عدوان إمبريالي يجب مقاومته مع وجوب الحذر والاحتياط حتى لا تتحول المقاومة إلى معركة داخلية يستفيد منها العدو الأجنبي .

إننا ندعو شعوبنا إلى البحث عن طريق للمقاومة بحيث يمكن الشعب من مواجهة العدو الأجنبي الإمبريالي مباشرة ، وتفادي الاصطدام مع القوى المحلية أو الوطنية بحجة أنها حليفة أو عميلة للقوى المعادية ، وفي عصرنا الحاضر نرى أن المعركة الأساسية على الساحة الدولية هي معركة اقتصادية قبل كل شيء ؛ ولذلك نقترح أن نواجه العدو الأجنبي في الساحة الاقتصادية ، ونشرع في توجيه قوانا للبناء الاقتصادي ، ولو استلزم ذلك مقاطعة شعبية لبعض البضائع الأجنبية التي تهدد المشروعات الوطنية ، والسلاح الذي نقترحه هو سلاح المقاطعة الاقتصادية الشعبية .

وعلينا ألا ننخدع بادعاءات «الديمقراطية» لهذا العدو الإمبريالي

***

(١٢) صور الفتن العصرية :

لقد حرصنا على استكشاف بذور الفتن في المجتمعات المتقدمة الكبرى ، لكي ينتبه الجميع إلى أن مواجهة الفتن في بلادنا يستوجب العمل على القضاء على

منابعها الخارجية ومصادر تمويلها الأجنبية ، ولا يكون ذلك إلا بمقاومة أساليب الاستكبار العالمي وخططه الرامية إلى احتكار المال والسلطة في الدول الكبرى وعلى المستوى العالمي ، وأن اقتلاع أساليب البغي والاستبداد في أقطارنا الصغيرة غير ممكن إلا إذا واجهنا القوى الأجنبية التي تموله وتشجعه لاتخاذه أداة من أدوات إحكام سيطرتها على ثرواتنا وثروات العالم كله وفرض نفوذها على شعوبنا وشعوب العالم كله من أجل احتكار السلطة والمال على المستوى العالمي .

وأخطر ما في هذه السياسة الاستكبارية ، أن طوائف المستغلين والمستكبرين أصبحوا يعتبرون الفساد في العالم كله من أهم الوسائل التي يعتمدون عليها في فرض أساليب التضليل والسيطرة على الشعوب والأمم . .

***

إنها ليست قضية خاصة بأقطارنا أو إقليمنا ، بل هي قضية عالمية تحتاج معالجتها إلى خطط طويلة المدى وحركات شعبية تستند إلى قوى عَقَدِيَّة راسخة في ضمير الشعوب والأمم ولهذا فإن شياطين الفساد والاستبداد يعتبرونَ أَنَّ مقاومة الشعوب الإسلامية لخططهم ستكون حاسمة على مستوى العالم كله ؛ لأنها تستمد قوة اندفاعها من منبع عَقَدِيٍّ هو الإيمان بالله والثقة بنصره ، مما يزودها بطاقة لا حدود لها في الدفاع والصمود والثبات .

***

obeikandl.com